المسجد الأقصى

ودعوة الرسل

بقلم فضيلة الشيخ

محمد صفوت نور الدين

الرئيس السابق لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

رحمه الله

المسجد الأقصى
ودعوة الرسل

بقلم فضيلة الشيخ
محمد صفوت نور الدين رَحِمَهُ اللَّهُ
الرئيس السابق لجماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

الإصدار الثامن

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لـ

مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد
الكتاب كاملا أو مجزءا أو تسجيله على أشرطة
كاسيت أو إدخاله على الحاسوب أو برمجته
على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة خطية من المركز

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

قبرص - نيقوسيا

الموقع على الإنترنت : www.aqsaonline.info

البريد الإلكتروني : aqsaonline@aqsaonline.info

شركة بيت المقدس

تصميم وتوزيع

شركة بيت المقدس للنشر والتوزيع

الإدارة : هاتف وناسوخ ٢٦٣٧١٢٠ - المعرض : ٢٦٣٦٤٨٣ - الخط الساخن : ٦٦٠٠٦٢٧ الكويت -
حولي - ص.ب : ٤٣٧١ الرمز البريدي 32074 بريد الكتروني : muqdes@hotmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للَّه ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على خاتم الأنبياء والمرسلين.

أمَّا بعد:

فإنَّ اللَّه سبحانه ضَمِنَ النصر والتأييد لأهلِ الإيمان الكامل، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧].

فمن نقص إيمانه، نقص نصيبه من النصر والتأييد. ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبةٍ في نفسه، أو ماله، أو بتسلُّط عدوه عليه، فإنما هي بذنوبه، إما بترك واجبٍ، أو فعل محرَّم. وهو من نقص إيمانه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وفي غزوة أحد، خالف الرماة أمر النبي ﷺ، فحُرموا النصر. وفي

غزوة حنين، ظهر من المقاتلين شيء من العجب، فحُرموا النصر.

وبهذا يعرف أن من ادعى أنه ينصر اللَّه، وينصر دينه، وهو غارقٌ بالذنوب والمعاصي، ولم يتصف بالصفات التي ذكرها اللَّه تعالى بقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، فهو كاذب غير مؤهَّل للنصر.

ومن قاتل أعداء الدين، ولم يأخذ بأسباب النصر المذكورة بقول النبي ﷺ: «**إنما ينصر اللَّه هذه الأمة بضعيفها: بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم**»[(١)].

كيف نُنصرُ ونحن نصلي بلا خشوعٍ؟! فصلاتنا لا تنهانا عن الفحشاء والمنكر.

كيف نُنصر ونحن ندعوا اللَّه بقلوب غافلة، وألسنة مذنبة؟!

كيف نُنصر، ولم نتربَّ على الإخلاص للَّه تعالى؟! نتكلم ونعمل طمعاً بالثناء، والمال من المخلوق.

فلنتصف بهذه الصفات؛ لأنَّ النصر مع الصبر، ومن صبر

(١) صحيح سنن النسائي (٢٩٧٨).

وصابر ورابط واتقى اللَّه، فله العاقبة في الدنيا والآخرة.

وإنَّ المسجد الأقصى أولى القبلتين، وثاني المسجدين، وثالث المساجد التي تشد الرحال إليها، كان بأيدي المسلمين، ثم ضاع منهم، وأصبح أسيراً بأيدي اليهود الذين لعنهم اللَّه، وجعل منهم القردة والخنازير، نفوسهم شريرة، تسعى جاهدةً إلى إفساد الآخرين، ومن ثَمَّ تدميرهم، وتعشق سفك الدماء ولو كانوا أنبياء، ويصدق عليهم وصفهم الحقيقي بأنهم قتلة الأنبياء، فقد قتلوا من أنبيائهم الكم الكثير.

كيف ضاع هذا المسجد المبارك؟ تأمل - بارك اللَّه فيك - الأثر التالي:

عن جبير بن نفير قال: لما فتحت قبرص، وفرّق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض، رأيتُ أبا الدرداء جالساً وحده يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء، ما يبكيك في يوم أعز اللَّه فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على اللَّه إذا هم تركوا أمره، بينا هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك، تركوا أمر اللَّه عز وجل، فصاروا إلى ما ترى[(١)].

واقرأ بتدبُّرٍ قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا

(١) أثر صحيح رواه أحمد في «الزهد» (ص١٧٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٦ - ٢١٧).

بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

فأخبَرَ اللَّهَ تَعالَى أَنَّهُ لا يُغَيِّرُ نِعمَتَهُ التِي أنعَمَ بهَا عَلَى أحَدٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُغَيِّرُ مَا بِنَفسِهِ، فَيُغَيِّرُ طَاعَةَ اللَّه بِمَعصِيَتِهِ، وَشُكرَهُ بِكُفرِهِ، وَأَسبَابَ رِضَاهُ بِأَسْبَابِ سَخَطِهِ، وأسباب النصر بأَسباب الهزيمة، فَإِذَا غَيَّرَ غُيِّرَ عَلَيهِ، جَزَاءً وِفَاقاً، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ.

والخلاصة: أنَّ المسجد الأقصى لن يعودَ بلا عودةٍ صادقةٍ إلى اللَّه تعالى، ودعوة إلى التوحيد والاتباع. فلابدَّ من عودة ودعوة.

ما العيد إلَّا أن نعود لديننا حتى يعود قدسنا المفقود

ولقد ذكر الشيخ محمد صفوت نور الدين - لقاه اللَّه رضوانه وأسكنه فسيح جنانه - في هذا الكتاب الجليل القدر العظيم النفع، أنواع الجهاد، وفضائل المسجد الأقصى، والسبيل لعودته، فجاد وأفاد. جزاه اللَّه خير الجزاء.

فأدخل فيه بقلبٍ سليم، وتأمَّله تأمُّلَ طالبٍ للحقِّ لا نافرٍ عنهُ، وكن من الذين يستمعون القول فيتَّبعونَ أحسنه.

الراجي عفو ربه

عبد الهادي بن حسن وهبي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام النبيين، وخاتم المرسلين، وقائد الغُرِّ المحجلين محمد بن عبد اللَّه النبي العربي الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فإن الصراع بين الحق والباطل قديم وإن الحق يُسْتَمَدُّ من شرع اللَّه ودينه، ويقوده أنبياؤه ورسله، ومن سار على سيرتهم من الأمراء والعلماء، ومن اقتفى أثرهم، واتبع هديهم، وإن الباطل يقوده الشيطان، ويغوي أعوانه وأتباعه لمعادات الحق، ومفارقة أهله، والقضاء عليهم.

وإن النظرة العلمانيةِ وهي نظرة شيطانية تزحف كثيراً نحو القضايا التي تشغل بال الناس لتضلهم ضلالًا بعيداً، وتدخل تلك النظرة العلمانية في القضايا الإيمانية، فتكون الحلول غير مطابقة للمبادئ الشرعية، ولا موافقة لما كان عليه سلف الأمة.

وإن من أوضح القضايا العصرية في الأذهان قضية المسجد الأقصى، ومشكلة فلسطين، لكن النظرة العلمانية أوحت للناس

أن الأمر مجرد قتال مَنْ جَمَعَ أسبابه وأدواته تقدم وانتصر، وتركوا الإيمان ووعد اللَّه لأهله بالنصر والتمكين.

لذا كانت هذه المحاضرة بعنوان: المسجد الأقصى ودعوة الرسل.

وهي محاضرة أُلْقِيَتْ بطلب من جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت الذي عقد في أسبوع الأقصى، وقد حاولنا كتابتها في هذه الرسالة، وقد تم فيها من التغيير ما يلزم للفارق بين المحاضرة والرسالة، وإن كان طابع المحاضرة لا يزال في كثير من معالمها.

واللَّه من وراء القصد.

محمد صفوت نور الدين

المسجد الأقصى

تقديم وتعريف:

المسجد الأقصى واسمه مسجد إيلياء، ويطلق عليه كذلك بيت المقدس، والبيت المقدس من التقديس، وهو التطهير.

وهو قبلة المسلمين الأولى، حيث صلوا إليه سبعة عشر شهراً.

وقد أُسْرِيَ بالنبي ﷺ إليه قبل الهجرة، ونزل فيه قول اللَّه تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، ودخل النبي ﷺ ومعه جبريل لبيت المقدس، فصلى فيه ركعتين.

وهو ثاني مسجد وُضِعَ في الأرض؛ لحديث الشيخين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول اللَّه ﷺ عن أول مسجد وُضِعَ في الأرض؟ قال: «**المسجد الحرام**». قلت: ثم أي؟ قال: «**المسجد الأقصى**». قلت: كم بينهما؟ قال: «**أربعون عاماً، ثم الأرض لك مسجدٌ وأينما أدركتك الصلاة فصلّ فإنه مسجد**».

دعوة المرسلين:

إن دعوة الرسل هي دعوة التوحيد أن اعبدوا اللَّه ولا تُشْرِكوا به شيئاً، أرسل اللَّه تعالى بها نوحاً إلى قومه، وأرسل بها كل نبي بعده إلى قومه، يقول تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وقال يوسف: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ﴾ [يوسف: ٣٨]، ويقول سبحانه عن إبراهيم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]، ويقول سبحانه: ﴿۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٤ - ٨٧]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ﴾ [الأعراف: ٧٣]، فالدعوة لعبادة اللَّه

وحده وترك عبادة كل ما يُعْبَدُ من دونه، وترك الغُلُوِّ في الموتى من الصالحين، والغلو في قبورهم هي دعوة كل الأنبياء والمرسلين، وهي الدعوة الكاملة التي أمر بها كل الرسل، وجاءوا بها شريعة من عند اللَّه تعالى.

فإن دعوة الرسل هي دعوة اللَّه رب العالمين الذي خلق الخَلْقَ، ولم يتركهم هملًا وإنما أرسل إليهم أنبياء ورسلاً، وأمرهم أن يتبعوا منهج الأنبياء، ووعدهم إن هم وفوا بذلك بالنصر والتأييد والتمكين.

لذلك إخوة الإسلام، فإنه لا ينبغي فحسب أن نعالج قضية المسجد الأقصى على ما دعت إليه الرسل، وإنما ينبغي أن نعالج سائر قضايانا على ما دعت إليه الرسل، سواء دَقَّتْ تلك القضايا أو كَبُرَتْ؛ لأن اللَّه عز وجل أرسل نبيه الخاتم بدين وصفه بالكمال، وأتمه رب العزة سبحانه وتعالى، ورضي لنا الإسلام ديناً، فلا يكون من خير إلا وهو موجود في هذا الدين، وإن بعض الناس يحلو لهم أن يقولوا: إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، والعبارة وإن كانت صحيحة إلا أنها قاصرة؛ لأنها تفسح لمن يريد أن يقول إن غير الإسلام صالح، لكن الذي ينبغي أن نقوله: إنه بالإسلام وحده يصلح كل زمان ومكان، أي أن الفساد

يحل إذا انتهجنا أي منهج غير منهج الإسلام فلا تُحَلُّ تلك المشكلات، ولا تزال هذه المفاسد قائمة، ولا تُزَالُ إلا بأن ننتهج دين الإسلام.

للإسلام ثوابت شرعها رب العزة سبحانه لأنبيائه ورسله ومن تبعهم من خَلْقِه، أولها: الإيمان باللَّه، وإن اللَّه لا يحدُثُ في كونه إلا ما أراده وقَدَّرَه، فهو سبحانه وتعالى القهار، يقهر من يشاء، وهو المعز يعز مَن يشاء، وهو سبحانه المُذِّلُ يذل مَن يشاء.

ومن ثوابته أن اللَّه جعله الدين الخاتم، وجعله دين الجهاد، وهذه مسألة ينبغي ألا تُنْسَى ونحن نعالج قضايانا، فالإسلام دين جهاد، والجهاد يكون بالقلب واللسان واليد، والجهاد يكون جهاداً للعدو الكافر، وجهاداً للمنافقين، وجهاداً للعُصَاة، وجهاداً للشيطان، وجهاداً للنفس.

يقول ابن القيم: جهاد المنافقين أصعبُ من جهاد الكفار، وهو لخواص الأمة وَوَرَثَةُ الرسل، والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه، والمعاونون عليه، وإن كانوا هم الأقلين عدداً فهم الأعظمون عند اللَّه قدراً[١].

(١) «زاد المعاد» (٣/ ٥).

جهاد النفس وجهاد العدو:

وجهاد النفس مقدمة جهاد العدو، فمن لم يجاهد نفسه لتلتزم بالشرع فتعمل به وتقف عند حدوده لم يمكنه أن يجاهد عدوه، بل إن خروجه للجهاد قبل بلوغ مواطن النزال إنما هو من جهاد النفس على ذلك؛ لذا ففي حديث أحمد عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال في حجة الوداع: «**ألا أخبركم من المسلم؟ من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة اللَّه عز وجل**».

وجهاد الشيطان في تزيينه للشهوات، وفي تلبيسه بالشبهات؛ لأنه العدو الذي لا تتحول عداوته ولا يستمال جانبه؛ لذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٥]، فالعبد مأمور ببذل الجهد في التخلص من حيل الشيطان، وإن من أعظم ذلك الدخول في حوزة الرحمن بالاستعاذة به من الشيطان، وإن ثمرة ذلك جهاد العدو الكافر بالسيف والسنان طلباً للخير والعطاء من الدَّيَّان.

جهاد العُصَاة بالحكمة:

ومن الجهاد المشروع جهاد العصاة على الطاعة بالدعوة

بالحكمة والموعظة الحسنة، وإقامة السلاطين للحدود، والأخذ على أيدي المفسدين.

فهذه خمسة صور من صور الجهاد: جهاد النفس، والشيطان، والعصاة، والكفار، والمنافقين، يدخلها الجهاد باليد واللسان والقلب.

وإنما ذكرت هذه الكلمات ليعرف المسلم أن الجهاد سِمَةُ دين الإسلام، وأن الجهاد ليس هو مجرد القتال، ولا بذل النفس، وإنما حَدَّه النبي ﷺ في حديث البخاري ومسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه، ما القتال في سبيل اللَّه؟ فإن أحدنا يقاتل غَضَباً ويقاتل حَمِيَّةً، فقال: **«من قاتل لتكون كلمة اللَّه هي العليا فهو في سبيل اللَّه»**.

فينبغي أن نعلم أن الجهاد إنما يكون بالقرآن، ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، وأن يكون الجهاد لرفع راية القرآن ويكون الجهاد محكوماً بالأحكام التي جاء بها القرآن.

هذا، وإن الحماسة كثيراً ما تُخْرِجُ أصحابها فيقدموا الخادم فيجعلوه مخدوماً، والتابع فيجعلوه متبوعاً؛ لذا كان بيان تلك الضوابط من أهم الأمور التي ينبغي أن نتواصى بها.

كل ذلك لأن دين الإسلام ما جاءنا إلا ليخرجنا من عبودية العباد إلى عبودية اللَّه رب العالمين.

❊ ❊ ❊

كيف ضاع الأقصى؟
وكيف يعود؟

حقيقة هامة:

أشير إلى مسألة يغفل عنها الكثير من الناس مع أنها حقيقة جلية، ذلك أن اللَّه عز وجل أنزل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] قبل أن يفتح بيت المقدس، وقبل أن يكون ضمن ديار المسلمين، معنى هذا أن كمال الدين ليس بالضرورة أن يكون بيت المقدس فيه، ولكن إذا نحن أقمنا أنفسنا على منهج الإسلام رجع إلينا ما اغتُصِب من مقدساتنا في بيت المقدس، وديارنا السليبة في جميع أرجاء الأرض، وفتح اللَّه لنا البلاد، وقلوب العباد، ولذلك يخطئ كثير من المتحمسين حين يرون الدعوة إلى جمع كلمة المسلمين، ووحدة صفهم هي الهم الأول، ويتناسون في ذلك رجوع المسلمين عن بِدَعهم وشهواتهم وأهوائهم ومعاصيهم التي هم فيها مغمورون، وهذا لا يرجع به عز للمسلمين، وإن رجعت أرض سليبة، أو عادت ديار مُغْتَصَبَة، بل ينتقل من مُغتَصب

مُتَسَلِّط خارجي إلى مُتَسَلِّط من بني جلدتنا، يتكلم بألسنتنا.

لذلك فإنه ينبغي أن ننظر إلى حالنا مع اللَّه عز وجل، ونعلم أن رب العزة سبحانه وتعالى قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] ذلك هو الوعد القائد إلى سلوك الطريق السوي الذي سلكه الأنبياء والمرسلون.

إذن فما ضاع المسجد الأقصى إلا لأننا فَرَّطْنا في إيماننا، وضَيَّعْنا معالمه وأوامره، ولا يرجع المسجد الأقصى إلا أن نرجع فيما فرطنا، فنعود إلى رب العالمين.

ونُذَكِّر بحديث النبي ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سَلَّط اللَّهُ عليكم ذُلًا لا ينزعُه حتى ترجعوا إلى دينكم**» رواه أبو داود.

فتدبر كيف أن اللَّه لا ينزع الذل إلا أن ترجعوا إلى دينكم، الذي هو التوحيد وإخلاص العبادة للَّه، ثم ما يترتب على ذلك من شرائع، وهذا واضح بتتبع الحوادث في هذه الأمة والأمم السابقة.

نظرة وعِبْرَة:

فينبغي أن نعتبر من التاريخ، فنعلم أن رب العزة سبحانه وتعالى هو الفعَّال لما يريد، فهؤلاء أصحاب النبي ﷺ الذين أسلموا وآمنوا واتبعوه قبل الهجرة، عاشوا سنوات عشر في ذل وهوان، وعاشوا وهم لا يستطيعون أن يُظهِروا دينهم، يُعَذَّبُ فيهم الضعيف، ويُقاطَعُ فيهم القوي، الذي لا يقدر الكفار على تعذيبه، ويهاجرون إلى بلاد غير بلادهم؛ لأنهم لا يستطيعون أن يقيموا دينهم في مكة، فجاءوا إلى النبي ﷺ وهم في هذه الشدة؛ حيث مات بالتعذيب ياسر والد عمار، وماتت أمه كذلك، وبلال يُعَذَّبُ في كل يوم في رمضاء مكة عذاباً لا تتحمله الجبال، فيأتي إلى النبي ﷺ وفد هؤلاء الضعفاء يقولون: يا رسول اللَّه، ألا تستنصر لنا؟ ألا ترى إلى ما نزل بنا، وهو ﷺ يقول: «**واللَّه لَيُتِمَّنَّ اللَّه هذا الأمر حتى يسير الراكبُ - أو قال: الظعينة - من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا اللَّه والذئب على غنمة ولكنكم تستعجلون**»(١).

ثم يقول ﷺ: «**إنَّ الرجل فيمن كان قبلكم كان يُحْفَرُ له في الأرض، ويوقف في حفرته، ويوضع المنشار على مفرقه، فَيُشَقّ**

(١) يأتي بيان ذلك في فصل «بدأ الإسلام غريباً».

حتى يقع شِقّاه على الأرض لا يمنعه ذلك عن دينه».

فكان أول النصر أن يأذن اللَّه عز وجل لنبيه بالهجرة.

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٣٩]، فإذا كان القرآن الكريم قد عد الهجرة ظفراً ونصراً، فكل قول يخالف ذلك فهو قول باطل مردود. فالهجرة نصر رب العالمين لنبيه الكريم، بل نصره لهذا الدين حيث يهاجر النبي ﷺ، ويبقى مع المسلمين سنوات ست في حديدهم حتى قالوا: يا رسول اللَّه، أنبقى في حديدنا أبد الدهر، يعني نبقى وراء هذا السلاح لا نأمن، فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥]، أنزل اللَّه هذه الآية جواباً لسؤال المسلمين المستضعفين لرسول اللَّه ﷺ، فالإسلام دين جهاد، سواء في قضية الأقصى، أو في غيرها من القضايا، فالإسلام دين الجهاد الباقي إلى أن تقوم الساعة، والجهاد أعلاه وأشرفه جهاد السيف والسنان، جهاد القتال في

سبيل اللَّه، يضحي فيه المسلم بدمه وماله، طالباً النصر لا بعددٍ ولا عُدَّةٍ إنما طالباً نصر اللَّه رب العالمين، لتكون كلمةُ اللَّه هي العليا.

إنَّ اللَّه جلت قدرته استدرج المسلمين في غزوات كثيرة لِيُظهِر لهم نصره، ويُشَرِّفَهُم بدينه، ومن تلك الغزوات غزوة بدر، وغزوة الحديبية، فالمسلمون يرون المشركين من مكة قد اغتصبوا أموالهم، وأخذوا ديارهم، وطردوهم من بلادهم ليستمتعوا هم بالمال، ويُجَهَّزُون به قوافل التجارة التي تذهب إلى الشام وتعود تَمُر قريباً من المسلمين، تقول لهم بلسان الحال: أنتم لا حُرْمَةَ لكم، ولا خوفٌ منكم!! ورسول اللَّه ﷺ يرى أصحابه حُفاةً لا يجدون نعالاً يلبسونها، عراة لا يجدون ثياباً تواري سوآتهم، عالةً لا يجدون المال الذي يحتاجون في طعامهم وشرابهم، قد طُرِدوا من ديارهم ولا ديار تُؤْويهم، وهذه أموالهم بيد قريش التي اغتصبت الديار والأموال، يرى ذلك هو وأصحابه، فيأمرهم مرة أن يخرجوا لملاقاة عِيرٍ لقريش يقودها أبو سفيان إلى الشام، فَتُفْلِتُ العِيرُ مع أبي سفيان، وما أفلتتَ لسوء تقدير، أو خطأ تدبير منهم، إنما أفلَتت لأن اللَّه قَدَّر ذلك، ثم تُنْهِي تجارة قريش مُهِمّتها، ويرجع أبو سفيان بالعير والتجارة إلى قريش، ويمر على

المدينة، فيجمع النبي ﷺ أصحابه ليخرجوا مرة أخرى ليلاقوا هذه العير التي فيها أموالهم، وفيها حقهم المغتصب، ولكن اللَّه يقدر أيضاً في هذه المرة أن تُفْلِتَ العير، وتجتمع قريش بالصلف والغرور والكبر والظلم تريد أن تؤدب المسلمين - كما زعموا - تريد أن تُرْجِعَهم حتى لا يُلاحِقوا تجارة لهم بعد، ناسين أنهم هم المعتدون الظالمون، قهروا الناس في عقائدهم، وفتنوهم في دينهم، لكن اللَّه يريد ليريهم قوةً لم يعهدوها من قبل لعلهم أن يرجعوا عن كفرهم، فمع أنّ أبا سفيان يرسل إلى أبي جهل أن التجارة قد نجت إلا أنَّ أبا جهل يقول: لا واللَّه لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً، فنشربَ الخمر، وتُغَنينا القِيان، وتسمعَ بنا العرب، فلا تزال تَرْهَبُنا أبداً، وربُّ العزة سبحانه وتعالى يصور حال المؤمنين في قوله: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الأنفال: ٥ - ٨]، تريدون هذه العير وهذه التجارة وهذا المال ولا تريدون اللقاء والحرب، لكن اللَّه عز وجل

استدرجهم حتى وصلوا إلى ميدان المعركة، وجاء بالمشركين، وكانوا ألفاً معهم السلاح، مستعدين للقتال بسلاحهم وعددهم، لكن اللَّه جعله يوم الفرقان لا لأنهم جمعوا عدداً، ولا لأنهم جمعوا عُدداً، ولكن لأنهم جمعوا الإيمان والتقوى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النور: ٥٥].

فتحقق وعد اللَّه يوم الفرقان، يوم التقى الجمعان، وأنزل اللَّه ملائكته يحاربون إلى جوار المسلمين، يُثَبِّتُون الذين آمنوا، ويُلْقِي اللَّه الرعب في قلوب الكافرين، فيكون النصر من اللَّه رب العالمين لرسوله ومن آمن معه، وتبقى مكة في حرب مستمرة مع المسلمين في المدينة، من الهجرة وحتى آخر العام السادس، حيث يُرِي رب العزة نبيه ﷺ رؤيا يرى فيها أنه يطوف بالبيت آمناً وادعاً، ويطوفَ أصحابه، ويحلقون ويُقَصِّرون، وَيَتَسَلَّم النبي ﷺ مفاتيح الكعبة، والمسلمون يعلمون أن ذلك وعدٌ حقٌ من اللَّه؛ لأن رؤيا الأنبياء وحيٌ صادق، وأمر واجب، وقَدَرٌ نافذ، فيسرع المسلمون بالخروج مع النبي ﷺ معتمرين مُلَبِّين، فَيُحْدِث اللَّه عز وجل حَدَثاً غير الذي خرجوا له، يحدث لهم صُلْحاً يُسَمِّيهِ رب العزة فتحاً مبيناً: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، ذلك لأنهم بايعوا تحت الشجرة على الإيمان، فكان أفضل مواقف

المسلمين، حيث بُشِّر بالجنة من شَهِدَهَا.

جاء المسلمون إلى مكة وقد لبسوا ملابس الإحرام، ولَبُّوا بالعمرة للَّه رب العالمين، وساقوا معهم الهدي، فإذا بقريش تقف لتصدهم عن البيت الحرام، فمالوا حتى يبتعدوا عن طريق جيش قريش الذي يريد أن يصدهم، فلما بلغوا الحديبية بركت ناقة النبي ﷺ، فعلم رسول اللَّه ﷺ أنه أمر أراده رب العزة سبحانه لخير قريش وتمكين المسلمين فعرض رسول اللَّه ﷺ المفاوضة والصلح، وأرسل عثمان يفاوض عنه أهل مكة، ولكن شاع الخبر أن عثمان قُتِل، فاشتد الأمر على المسلمين، فبايعوا النبي ﷺ على القتال والموت، بايعوا على ألا يفروا. وفي جانب قريش تقوم اجتماعات مكثفة، وتستعين فيها بالمشركين مفاوضين من مختلف القبائل التي تحيط بمكة، فهذا ثقفي، وآخر من الأحابيش كل يفاوض نائباً عن قريش يتكلم باسمها. فيفكر المسلمون، أقُتِل عثمان أم لم يقتل؟ ويفكرون هل سيعتمرون أم سيصدون عن البيت ويرجعون بغير عمرة؟ هل سيقاتلون أم لا يقاتلون؟ وإذا قاتلوا هل يُنْصرون أم يُهزمون؟ وهل سيعاهدون أم يعودون بغير معاهدة؟ كل هذه تشغل بال كل مسلم من الذين عسكروا في الحديبية، وقد طال بهم الحصر، والدار ليست دار مقام، فإذا

بالسماء تُمْطر من الليل، ويصبحون ليؤدوا صلاة الصبح خلف النبي ﷺ، وقد رأوا أثر المطر، فيصلي رسول اللَّه ﷺ، ثم يستقبلهم ويسأل: «**أتدرون ما قال ربكم الليلة؟**» فقالوا اللَّه ورسوله أعلم، وكأني بهم ينتظرون أن يقول، قال ربكم الليلة لم يُقْتل عثمان، أو قُتِل عثمان؛ لأن ذلك يشغل بالهم، وهو سبب بيعة الرضوان، وقد قال النبي ﷺ بيده يضرب بها على الأخرى ﷺ (وهذه لعثمان) أي: أنه يبايع بيده اليسرى على المينى بدلًا من يد عثمان بيعة عنه كأنه شهدها وهو غائب، أو قال ربكم ستنتصرون أو تنهزمون، أو قال ربكم ستعاهدون أو لا تعاهدون، أو قال ربكم الليلة ستعتمرون أو سَتُصَدُّون، كل ذلك لأنه مُقْتَضَى الحال، والأمر الذي يشغل البال، فيكون عليه مدار التفكير، ومن عجب أن يقول النبي ﷺ قال ربكم الليلة: «**أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما مَنْ قال مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا ونوء كذا فذلك كافرٌ بي مؤمن بالكوكب، وأما من قال مطرنا بفضل اللَّه ورحمته فهو مؤمن بي كافر بالكوكب**»، كأنهم وهم في هذه الشدة والضنك والألم الشديد الذي ينتظرون له تفريجاً يصحح لهم رب العزة قولهم أمطرنا بنوء كذا ونوء كذا. انتبهوا إخوة الإسلام فهذه هي عوامل النصر التي إن حققناها وقع النصر من اللَّه بغير تأخير.

انتبهوا: إنَّ الإيمان هو المقصد، فلا يعلو عليه شيء، ولا يُقَدَّمُ عليه أمرٌ. ذلك دين اللَّه الذي ينصر اللَّه من تَمَسَّكَ به: عقيدة صحيحة، وعبادة مشروعة.

وعد اللَّه للذين آمنوا!!

رسول اللَّه ﷺ وهو أفضل خلق اللَّه يُصَدُّ عن بيت اللَّه، ويبقى أياماً طويلة في عناء وشدة هو وأصحابه المؤمنين المجاهدين حتى تتم المعاهدة، ويُوَقِّعَ هذه المعاهدة التي يرى المسلمون فيها جوراً شديداً يودون أن يقاتلوا ولا توقع هذه المعاهدة، فيزاداد الأمر عليهم شدة بتوقيعها، ولكن اللَّه يجعل في المعاهدة نصراً وفتحاً مبيناً، مع أنهم قد اشتد عليهم أن يقال: «**ترجعوا عنا عامكم هذا**»، ويشتد عليهم أيضاً أن يقولوا: «**من جاءكم بغير إذن وليه تَرُدُّوه ومن جاءنا لا نَرُدُّه**» جَوْرٌ وصَلَفٌ وظلم وتَبَجُّحٌ، وسُهيل بن عمرو هو الذي أملى هذه الفقرات من تلك المعاهدة، إلا أنه يمليها لحاجة في نفسه لا لصالح قريش التي جاء عنها نائباً مُتَحَدِّثاً معاهداً، واللَّه يحقق قدره، وينصر المسلمين، فحاجة سهيل بن عمرو تظهر عندما نعلم أن لسهيل ولدان: أحدهما عبد اللَّه وهو مسلم يجاهد في صفوف المسلمين يَوَدُّ أن يرجع إليه فلا يرده للمسلمين، والآخر مُكَبَّلٌ في قيوده في بيت أبيه سهيل هو أبو

جندل الذي صار مسلماً يريد إن فك القيود وذهب إلى المسلمين أن يردوه، فوضع ذلك القيد في العقد وبنقله ذلك القيد إلى العقد نقله من رجلي ولده ليضعه في المعاهدة وعاد يظن أنه قد انتصر. قدَّر اللَّه أن تُفَك القيود من أرجل المسلمين المستضعفين تحقيقاً لقول النبي ﷺ لأبي جندل بن سهيل بن عمرو: ارجع فسيجعل اللَّه لك ولأصحابك فرجاً، فَفُكَّتِ القيود، وخرج جمع من المسلمين من القيود، فوجودوا مكة تفتنهم والمدينة لا تحتضنهم، فيرون طغياناً من قريش، فخرجوا غضباً عليها، ووقفوا على ممر تجارة قريش يقطعونها، وقريش بلد غير ذي زرع لا تتحمل الحصار، فاستغاثت قريش بالمسلمين تقول لهم: اقبلوا هؤلاء، وتنازلوا عن هذا البند من بنود العقد، فما أملاه سهيل بن عمرو إلا لحاجة في نفسه، وجعلها اللَّه فرجاً ومخرجاً للمسلمين وفتحاً مبيناً لهذا الدين.

انظر فهذا فتح اللَّه للمؤمنين لأنهم آمنوا وأذعنوا وأطاعوا وعرفوا أن النصر بيد اللَّه رب العالمين.

الصلاة فرض على المسلمين:

بعد غزوات طويلة غزوة حنين، ويعود النبي ﷺ وأصحابه في طريقه إلى مكة ويسير بهم ليلًا طويلًا حتى أرهقهم السفر فيقولون

له: إنهم يحتاجون إلى الراحة يا رسول اللَّه، لو عَرَّسْتَ بنا - يعني لو نزلت بنا لننام ونستريح - فقال: أخاف أن تفوتكم الصلاة، تعجب يخاف أن تفوتهم صلاة واحدة مع أنهم كانوا في جهاد طويل شديد شاق لا يشفع لهم ذلك أن يناموا عن صلاة واحدة، يقول النبي ﷺ لأصحابه وهم في طريق عودتهم من حنين، وقد اشتد عليهم السير: أخشى أن تفوتكم الصلاة فأنتم بالصلاة مكلفون، وبالإيمان مكلفون، وبدعوة التوحيد مكلفون، فإن أنتم قمتم بما أنتم به مكلفون فإن رب العزة يحقق لكم وعده، وينصركم على أعدائكم، ويفتح لكم الأرض التي أُغْلِقَت عليكم؛ لأن اللَّه عز وجل هو الذي ينصر جنده، ينصر من يشاء، ثم لا بد أن ننظر إلى حياة النبي ﷺ، فنرى أن رب العزة ينصره بالإيمان، وحياته كلها واضحة التفاصيل في ذلك، وإن منها غزوة الأحزاب التي أخذ النبي ﷺ يردد بعدها: لا إله إلا اللَّه وحده أنجز وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده. القوم أخذوا عُدَّتَهُم بما استطاعوا وخرجوا يجاهدون في سبيل اللَّه بما استطاعوا، لكن النصر من عند اللَّه رب العالمين، ينصر من يشاء.

حماية اللَّه للمسلمين بعد موت النبي ﷺ:

وما إن مات النبي ﷺ حتى وجد المنافقون الفرصة سانحة

لينقضوا على قيادة المدينة فيأخذوا قيادتها ليقودوا المسلمين كما شاءوا، ولكن ييسر اللَّه عز وجل على لسان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كلمات أخطأ فيها، واعتذر عن قولها في اليوم التالي، تلك الكلمات التي أخطأ عمر بقولها جعل اللَّه عز وجل بها نصراً وفرجاً ومخرجاً، يقف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مسجى في ثوبه يرقد على سريره، قد فاضت روحه إلى ربه يقول بسيفه: من قال إنَّ محمداً قد مات ضربتُ عنقه، واللَّه ما مات، وإنما ذهب إلى ربه، وسيعود ليقضي على هؤلاء المنافقين. فعلم المنافقون أن رقابهم مقصودة، وأن تحركاتهم مرصودة، فلزموا بيوتهم، ولم يتحركوا حتى استتب الأمر للمسلمين، وفي ذلك تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما أخرجه البخاري في صحيحه: لما مات رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب أبو بكر خطبة، وخطب عمر خطبة فما كانت من خطبتيهما من خطبة إلا نفع اللَّه بها، لقد خوَّف عمر الناس، وإن فيهم لنفاقاً فردهم اللَّه بذلك. يعني أن اللَّه ألقى على لسان عمر كلمات خَوَّفَتِ المنافقين.

اللَّه أكبر: إنه الإيمان الذي ينصر به اللَّه أهله، إنه الإيمان الذي أضعناه فغير اللَّه عزنا إلى ذل، ونصرنا إلى هزيمة، وقوتنا إلى ضعف، نحن لسنا في العدد قليلين، بل كثيرين، ولكن أين

الإيمان؟ هل تذكرون أن المسلمين دخلوا إلى غزوة حنين بعدد لم يدخلوا إلى غزوة قبله بعدد مثله، فقال بعضهم لن نُغْلَبْ اليوم من قِلَّةٍ، فكان أن جعل اللَّه رماح المشركين تردهم فينفضوا وهم بضعة آلاف ولا يبقى إلا مئة من المؤمنين حول النبي ﷺ يشرفهم اللَّه بنصره؛ لأن اللَّه ينصر بالإيمان لا بالعَدد ولا بالعُدد.

الانحراف عن الطريق:

إخوة الإسلام: كثيراً ما نفرط في أمر الاعتقاد ونقول دعونا من تصحيح الإيمان، المسلمون يُذْبَحون وأنتم تجلسون في المساجد وتقولون للناس قولوا لا إله إلا اللَّه، المسلمون تُستباح أعراضُهم وأنتم تقولون للناس لا تُنْذِرْ إلا للَّه، ولا تَدْعُ إلا اللَّه، ويقولون نريد أن نجمع كلمة المسلمين وأن نُوَحِّد صفهم، وأن نواجه عدوهم. فهذه أموال المسلمين يتحكم فيها الكفار، لابد أن ننبه المسلمين لينتزعوها حتى لا يتقوى بها عدوهم، ليس هذا هو طريق المسجد الأقصى، ولا هو طريق عز المسلمين، ولا طريق عودة مجدهم، ولا طريق التمكين لهم؛ لأن المسلمين ما انتصروا في يوم من الأيام بعدد وفير، ولا بعُدة كثيرة إنما النصر من عند اللَّه رب العالمين، ينصر من يشاء، وينبغي أن نتساءل عن كل بقعة أصاب المسلمين فيها ذل فسُفِكت دماؤهم، واستُبيحت

أموالهم، وهُتكَت أعراضهم، وشردوا من ديارهم، هل أصاب المسلمين الذل والهوان أولاً؟ أم أنهم تركوا التَّمَسُّك بدينهم وإيمانهم أولاً؟!! إنه مما لا شك فيه ولا مراء أنهم إنما تركوا دينهم وإيمانهم أولًا، ثم نتذكر أن اللَّه عز وجل قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فلماذا نريد أن يغير اللَّه عز وجل واقعنا من ذل إلى عز، ومن هزيمة إلى نصر؟ بغير أن نغير من أنفسنا من معاصي وشركيات ومخالفات إلى طاعة وتوحيد وإيمان، لابد أولًا أن نعرف اللَّه رب العالمين، لابد أن نعلم أن رب العزة يَنْزِلُ إلى السماء الدنيا إذا بقي ثلث الليل في كل ليلة وينادي: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ فهل غلبنا شهوة النوم وقمنا نصلي للَّه بجباه ساجدة، وبأعين دامعة، نضرع إلى رب العالمين نسأله النصر والتمكين، هل تغلبنا على شهوة النوم، فقمنا استجابة للَّه وهو يناديا: مَنْ يسألني... مَنْ يدعوني، أم غلبتنا شهوة النوم فنحن في نوم عميقٍ؟!!

إن للنصر أسباباً وضعها رب العزة سبحانه، وأم أسباب النصر:

١- الإيمان. **٢- الدعاء.**

٣- توحيد اللَّه ومعرفته. **٤- القيام بأوامره.**

مثال صارخ:

في رجب من سنة ١٣٨٨هـ الموافق سبتمبر سنة ١٩٦٨م انعقد المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف بالقاهرة من أجل مؤازرة الكفاح ضد إسرائيل وقد قال أمين المجمع: قدم الأعضاء لمجمع البحوث إنتاجاً علمياً جليل القدر عظيم النفع يرتبط أوثق الارتباط بالحياة العلمية والعملية للمسلمين.

وقد شهد المجمع اثنان وثمانون من العلماء أعضاء المجمع ومن الممثلين للإسلام في بلاد الدنيا، وقدم أحد أعضاء مجمع البحوث الإسلامية كلمة عنوانها: مكانة بيت المقدس في الإسلام، قال في آخرها:

كيف تقابلون وجه اللَّه يوم القيامة؟ وهل تتركون الكعبة المشرفة وقبر الرسول ﷺ عرضة للغزو والدمار؟ يا سيدي يا رسول اللَّه يا أبا القاسم، إني أتوجه إليك في هذه الساعة الحرجة من تاريخ أمتك، وقلبي يقطر دماً، أغثنا يا رسول اللَّه، املأ قلوبنا بالإيمان وحد صفوفنا، إنا نبايعك على أرواحنا وأولادنا وأموالنا، إن مسراك ومعراجك وقبلتك الأولى، ومساجد يذكر فيها اسم اللَّه واسمك تشكو وتستغيث:

على قبة المعراج والصخرة التي تفاخر ما في الأرض من صخرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فشد عزائمنا يا رسول اللَّه، إنا نريد أن نموت ليعلو اسم اللَّه ولترفع تكبيرات المؤمنين على المآذن بـ (اللَّه أكبر. . . اللَّه أكبر).

يا أبا القاسم يا رسول اللَّه، أغثنا لا تتخل عنا فنحن لن نتخلى عنك قدنا إلى الجهاد. خير لنا أن نموت دفاعاً عن مقدساتنا وأعراضنا وأوطاننا التي انتهكت من أن نحيا عبيداً أذلاء: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١] .اهـ.

انظر إلى هذه الكلمة من هذا العضو في مجمع علمي، وتدبر كيف يكون النصر. شهد هذه الكلمات علماء الأزهر وشيخه ووفود بالمئات وهو يدعو من دون اللَّه دعاءً هو عين الشرك الأكبر الذي بعث اللَّه الرسل للقضاء عليه، فهل يعود بيت المقدس بذلك؟ وإن عاد أفتكون عودته للإسلام والمسلمين؟ أم أنها للشرك الصريح؟ ولا حول ولا قوة إلا باللَّه.

نعلم إخوة الإسلام أن النصر لا يكون إلا بالأيدي المتوضئة وبالجباه الساجدة وبالإيمان القويم بالذين يعلمون أن الرزاق هو اللَّه. تذكروا حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «**إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا اللَّه وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصي اللَّه فإن ما عند اللَّه لا ينال إلا بطاعته**» فالنصر رزق عزيز من اللَّه الرزاق ذي القوة المتين، لا شك إنه ليس إلا عند اللَّه رب العالمين، وقد استبطأنا النصر أن يأتينا وإن كان ذلك العمر الذي وقعت فيه الهزيمة في عرف الزمان قليل لكننا قد استبطأناه، والنبي ﷺ يقول: «**ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعاصي اللَّه**».

فلابد أن تتجمع الوفود تحت كلمة اللَّه لا تحت تراب نتداعى إليه ولا تحت شعارات ليس لها في الإسلام من نصيب. لو عاد المسجد الأقصى بهذا فكأنه ما عاد، بل قد بقي سليباً، ونتذكر مرة أخرى أن اللَّه أنزل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]، ولم يكن المسجد الأقصى يومها من ديار المسلمين ولا تحت سيطرتهم ولا دخل إلا والمسلمون في عز وتمكين، فواللَّه إني لأعجب من عمر والذي فتح اللَّه له بيت المقدس وغيره من البلاد

يرسل إليه عمرو بن العاص رسالة يطلب فيها أن يُركب المسلمين البحر ليغزو بلاد الكفر فيما وراء البحر فيرسل عمر إلى معاوية بن أبي سفيان يسأله صف لي البحر، هذا عمر خليفة المسلمين لا يعرف البحر، نعم إنه لا ينتصر بمعرفة البحار، إنما ينتصر بمعرفة اللَّه رب البحار رب السماوات والأرض وما فيهن، فعمر إن كان لا يعرف البحر، فإنه يعرف رب البحر، إنما ينتصر بمعرفة رب العالمين يسجد له، يعرف أن النصر ليس إلا من عند اللَّه فهو يصلي له ويعبده يعلم أن رب العالمين سبحانه وتعالى ينصر الجند بالإسلام ينصر الجند بالإيمان وبالتقوى وبعمل الصالحات.

قوة الإيمان:

إخوة الإسلام، إن رب العزة سبحانه وتعالى وعده حق وصدق، ولكن لا بد أن نحقق الشرط في أنفسنا فالنبي ﷺ يقول: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى اللَّه من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن باللَّه، ولا تعجز. وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر اللَّه وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان**». رواه مسلم. هذا الحديث المبارك فيه إرشاد كريم وتعليم قويم، لكن ما هي القوة المطلوبة في هذا الحديث: المؤمن القوي، تعني

القوى في إيمانه الذي يستعد بما استطاع من قوة مادية (قوة بدن، وعدد، وسلاح)؛ لأنها أمر من أوامر الدين، والإيمان لا لأنه ينتصر بقوة السلاح ولا لأنه ينتصر بالعدَدِ والعُدَّة، بل لأن النصر من عند اللَّه ينصرُ رُسُلَهُ وينصر المؤمن، فالعدة الأساسية هي الإيمان.

أخوة الإسلام، اعلموا أنه لا يرجع بيت المقدس، ولا المسجد الأقصى إلا بجباه ساجدة، وقلوب موحدة، قلوب تعرف ربها فتلجأ إليه، وتضرع وتعلم أنّ العُدة سبب، وأن العدد سبب، وأن اللَّه إن شاء جاء بالنصر ولو مع قلة في هذه الأسباب، وإنما الذي علينا أن نعلم أن اللَّه غني عن جهاد المجاهدين، وأن من جاهد فإنما يجاهد لنفسه. اقرأ قول اللَّه تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]. واعلم أنها جاءت من اللَّه تهديداً للمسلمين إذا قعدوا عن الجهاد مع النبي ﷺ فاللَّه ينصره. وكذلك اللَّه ينصر الإسلام بنفسه، ولو قعدنا عن نصره، يعني: إن بقينا في معاصينا مخلدين وإن بقينا في غينا سادرين، وإن بقينا لا نعني بالتعرف على اللَّه رب العالمين، إن بقينا نهجر التوحيد، ونهجر الطاعات، فإن رب العزة سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

فالمسجد الأقصى عائد ولابد، ولكن بيد من؟ بيد المتوضئين، بيد المصلين، بيد الموحدين؛ لأن النصر موعود اللَّه لهم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، وهي مفسرة بالآية الأخرى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] الإسلام الذي بعث به الرسول ﷺ.

إخوة الإسلام، الجراح شديدة، والآلام كثيرة، ولكنني أخاف على هذه الجراح أن تنسينا دعوة الإيمان، وأن نظن أن دعوة التجمع والوحدة ودعوة الإكثار من السلاح والعدد والعدة هي سبب النصر، وننسى أن نصر رب العالمين إنما يقع بالإيمان، أقول المقولة التي تُنْسَبُ إلى بعض الكافرين: «**ينتصر المسلمون ويفتحون بيت المقدس إذا ساوى عددُ من يُصَلُّون الفجر الذين يُصلُّون الجمعة**».

المسجد الأقصى في عقيدة المسلمين:

وهذه فقرات من أقوال أهل السنة في المسجد الأقصى غالبها من أقوال شيخ الإسلام ابن تيمية، نسوقها بياناً لما ينبغي أن يعتقده المسلم في شأن المسجد الأقصى:

والمسجد الأقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان ﷺ،

وقد صار بعض الناس يسمي الأقصى المصَلَّى الذي بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مقدمه، والصلاة في المصلى الذي بناه عمر للمسلمين أفضل من الصلاة في سائر المسجد، فإن عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس، وكان على الصخرة زُبَالَةٌ عظيمة؛ لأن النصارى كانوا يقصدون إهانتها مقابلة لليهود الذين يصلون إليها، فأمر عمر رضي الله عنه بإزالة النجاسة عنها، وقال لكعب الأحبار: أين ترى أن نبني مُصَلَّى المسلمين، فقال: خلف الصخرة، فقال: يا ابن اليهودية خالطتْكَ يهودية، بل أبنيه أمامها، فإن لنا صدور المجالس، ولهذا كان أئمة الأمة إذا دخلوا المسجد أدوا الصلاة في المصلى الذي بناه عمر.

اتفق علماء المسلمين على استحباب السفر إلى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه، كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن، والاعتكاف، لحديث الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا**».

وقد روى الحاكم في صحيحه أن سليمان صلى الله عليه وسلم سأل ربه ثلاثة: «**ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وسأله حكماً يوافق حُكْمه، وسأله أن لا يَؤُمَّ أحد هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه إلا غفر له**».

ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي إليه فيصلي فيه ولا يشرب فيه ماء، لتصيبه دعوة سليمان، لقوله: «**لا يريد إلا الصلاة فيه**». فإن هذا يقتضي إخلاص النية في السفر إليه ولا يأتيه لغرض دنيوي ولا بدعة.

والمسجد الحرام أفضل المساجد، ويليه مسجد النبي ﷺ، ويليه المسجد الأقصى، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «**صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام**». ولهذا لا يجوز تغير واحد من هذه المساجد الثلاثة من موضعه، وأما سائر المساجد ففضيلتها من أنها مسجد للَّه، وبيتٌ يُصلَّى فيه، وهذا قَدْرٌ مشترك بين المساجد.

والعبادات المشروعة في المسجد الأقصى هي من جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي ﷺ وغيره من سائر المساجد إلا المسجد الحرام، فإنه يُشْرَعُ فيه زيادة على سائر المساجد الطواف بالكعبة، واستلام الركنين اليمانيين، وتقبيل الحجر الأسود، وأما مسجد النبي ﷺ والمسجد الأقصى، وسائر المساجد فليس فيها ما يطاف به، ولا فيها ما يُتَمَسَّحُ به، ولا ما يُقَبَّلُ، فلا يجوز لأحد أن يطوف بحجرة النبي ﷺ، ولا بغير ذلك من مقابر الأنبياء والصالحين، ولا بصخرة بيت المقدس، ولا بغير

هؤلاء كالقبة التي فوق جبل عرفات وأمثالها، بل ليس في الأرض مكان يطاف به كما يُطَاف بالكعبة.

ومن اعتقد أن الطواف بغيرها مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز الصلاة إلى غير الكعبة، فإن النبي ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة صلى بالمسلمين ثمانية عشر شهراً إلى بيت المقدس، فكانت قبلة المسلمين هذه المدة، ثم إن اللَّه حَوَّل القبلة إلى الكعبة، وأنزل اللَّه في ذلك القرآن، كما ذكر في سورة البقرة، وصلى النبي ﷺ والمسلمون إلى الكعبة، وصارت هي القبلة، وهي قبلة إبراهيم وغيره من الأنبياء.

فمن اتخذ الصخرة اليوم قبلة يصلي إليها فهو كافر مرتد يُسْتَتَاب فإن تاب وإلَّا قُتِل، مع أنها كانت قبلة ولكن اللَّه نسخ ذلك، فكيف بمن يتخذها مكاناً يطاف به كما يطاف بالكعبة، والطواف بغير الكعبة لم يشرع بحال، وكذلك من قصد أن يسوق إليها غنماً أو بقراً ليذبحها هناك، ويعتقد أن الأضحية فيها أفضل، وأن يحلق فيها شعره في العيد أو أن يسافر إليها يوم عرفة، فهذه الأمور التي يُشَبِّهُ بها بيت المقدس بالبيت الحرام بمكة في الوقوف، والطواف، والذبح، والحلق من البدع والضلالات، ومن فعل شيئاً من ذلك معتقداً أن هذا قُرْبَةً إلى اللَّه فإنه يُستتاب

فإن تاب وإلا قُتل كما لو صليت إلى الصخرة معتقداً أن استقبالها في الصلاة قربة كاستقبال الكعبة، ولهذا بنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مُصَلّى المسلمين في مُقدم المسجد الأقصى.

وأما الصخرة فلم يُصَلِّ عندها عمر رضي الله عنه، ولا الصحابة، ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة، بل كانت مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية ويزيد ومروان، وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان فلم يكونوا يُعَظِّمُون الصخرة، فإنها قبلة منسوخة كما أن يوم السبت كان عيداً في شريعة موسى عليه السلام ثم نسخ في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم بيوم الجمعة، فليس للمسلمين أن يخصوا يوم السبت ويوم الأحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى، وكذلك الصخرة إنما يُعَظِّمُها اليهود، وبعض النصارى.

وما ذكره بعض الجُهَّال من أن هناك أثر قَدم النبي صلى الله عليه وسلم وأثر عمامته وغير ذلك فكله كذب، وأكذب منه من يظن أنه موضع قدم الرب تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وكذلك المكان الذي يذكر أنه مهد عيسى صلى الله عليه وسلم كذب، وإنما كان معمودية للنصارى، وكذلك من زعم أن هناك الصراط والميزان، أو أن السور الذي يُضْرب به بين الجنة والنار هو ذلك الحائط المبني

شرقي المسجد.

وليس في بيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوى المسجد الأقصى، فمن زار قبور الموتى، وسلم عليهم، وترحم عليهم كما كان النبي ﷺ يُعَلِّم أصحابه فحسن، فإن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون، ويرحم اللَّه المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل اللَّه لنا ولكم العافية، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تَفْتِنَّا بعدهم، واغفر لنا ولهم**» رواه مسلم.

وليس ببيت المقدس مكان يُسَمَّى حرماً ولابتربة الخليل، ولا بغير ذلك من البقاع إلا ثلاثة أماكن أحدها هو حرم باتفاق المسلمين، وهو حرم مكة شرفها اللَّه تعالى، والثاني حرم عند جمهور العلماء، وهو حرم النبي ﷺ من عير إلى ثور، بريد في بريد، فإن هذا فيه أحاديث صحيحة مستفيضة عن النبي ﷺ، والثالث (وج) وهو وادي بالطائف لما روى فيه حديث عند أحمد في المسند وليس في الصحاح وهذا حرم عند الشافعي لاعتقاده صحة الحديث وليس حرماً عند أكثر العلماء وأحمد ضعف الحديث المروي فيه فلم يأخذ به، وأما ما سوى هذه الأماكن

الثلاثة فليس حرماً عند أحد من علماء المسلمين فإن الحرم ما حرم اللَّه صيده ونباته ولم يحرم اللَّه صيد مكان ونباته خارجاً عن هذه الأماكن الثلاثة.

وزيارة بيت المقدس مشروعة في جميع الأوقات، ولكن لا ينبغي أن يؤتى في الأوقات التي يتعمدها أهل الضّلال، مثل وقت عيد النحر، فإن كثيراً من الضلال يسافرون إليه ليقفوا هناك والسفر إليه لأجل التعرف به[1] معتقداً أن هذا قربة، بل هو محرم بلا ريب وينبغي ألا يتشبه بهم ولا يكثر سوادهم.

وليس السفر إليه مع الحج قربة، وقول القائل: قدس اللَّه حجتك، قول باطل لا أصل له كما يروي: من زارني وأبى في عام واحد ضمنت له الجنة، فإن هذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

والمرابطة بالثغور أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة كما نص على ذلك أئمة الإسلام عامة، وقد قال تعالى: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ

(١) أي الوقف به يوم عرفة.

وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩ - ٢٢].

والسفر إلى البقاع المعظمة هو من جنس الحج، ولكل أمة حج، فالمشركون من العرب كانوا يحجون إلى اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وغير ذلك من الأوثان.

والمشركون في هذه الأزمان من الهند وغيرهم يحجون إلى آلهتهم، وكذلك النصارى يحجون إلى (القمامة) كنيسة القيامة حالياً وبيت لحم وغير ذلك من كنائسهم التي بها الصور التي يعظمونها ويدعونها ويستشفعون بها.

وكان أبرهة قد بنى كنيسة بأرض اليمن وأراد أن يصرف حج العرب إليها فدخل رجل من العرب فأحدث في الكنيسة فغضب لذلك أبرهة وسافر إلى الكعبة ليهدمها حتى جرى ما جرى، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ١-٥].

ومعلوم أنه إنما يفعل فيها ما يُفْعَلُ في كنائس النصارى فدل على أن السفر إلى الكنائس عندهم هو من جنس الحج عند

المسلمين، وأنه يسمى حجاً ويضاهي به البيت الحرام، وإن من قصد أن يجعل بقعة للعبادة فيها كما يسافر إلى المسجد الحرام فإنه قصد ما هو عبادة من جنس الحج، والنبي ﷺ نهى أن يحج أحد أو يسافر إلى غير المساجد الثلاثة.

والصحابة كابن عمر وأبي سعيد وأبي بصرة وغيرهم فهموا من قول النبي ﷺ: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**» أن الطور الذي كلم اللَّه عليه موسى، وسماه الوادي المقدس، والبقعة المباركة داخل في النهي، وقد نهوا الناس عن السفر إليه، ولم يخصوا النهي بالمساجد.

وقد صح عن سعيد بن المسيب أنه قال: من نذر أن يعتكف في مسجد إليا[1] فاعتكف في مسجد النبي ﷺ بالمدينة أجزأ عنه، ومن نذر أن يعتكف في مسجد المدينة فاعتكف في المسجد الحرام أجزأ عنه، ومن نذر أن يعتكف على رءوس الجبال فإنه لا ينبغي له ذلك وليعتكف في مسجد جماعة، وهذا الذي نهى عنه سعيد بن المسيب متفق عليه عند عامة العلماء، وإن قدر أن الرجل لا يسمى ذلك اعتكافاً فمن فعل ما يفعل المعتكف في

(١) هو المسجد الأقصى.

المسجد فهو معتكف في غير المسجد وذلك منهي عنه بالاتفاق.

والمقصود هنا أن السفر إلى غير المساجد الثلاثة من قبر وأثر نبي ومسجد وغير ذلك ليس بواجب ولا مستحب بالنص والإجماع.

والمسجد الأقصى أفضل المساجد بعد المسجد النبوي، وبيت المقدس من قبور الأنبياء مالا يحصيه إلا اللَّه فهل يقول عاقل أن فضيلته لأجل القبور؟ والمسجد الأقصى صلت فيه الأنبياء من عهد الخليل، وصلى فيه من أولياء اللَّه مالا يحصيه إلا اللَّه، وسليمان بنى هذا البناء وسأل ربه ثلاثاً كما سبق.

ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي من الحجاز فيدخل فيصلي فيه، ثم يخرج ولا يشرب فيه ماء لتصيبه دعوة سليمان، وكان الصحابة ثم التابعون يأتون ولا يقصدون شيئاً مما حوله من البقاع، ولا يسافرون إلى قرية الخليل ولا غيرها.

بدأ الإسلام غريباً:

لما جاء الوحي إلى النبي ﷺ في غار حراء، خرج فزعاً إلى بيته، فاستقبلته خديجة رضي الله عنها تطمئنه حتى هدأ ذهبت معه إلى ورقة بن نوفل الذي سمع منه قصته ثم قال له كلمة قوية: «لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي». رواه البخاري.

فهي سنة في الأنبياء جميعاً، بل وفي دعوتهم، فكل من دعا بها عودي، لكن اللَّه ينصر من ينصره: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، ويقول تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥، ٦].

وكان ذلك شأن الإسلام والرسالات السابقة من قبله يعرف ذلك من عرف سنة اللَّه في خلقه حتى أن البخاري أخرج في صحيحه من قول هرقل لأبي سفيان: «وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل، وسألتك أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الإيمان حتى يتم».

ولقد جاء الإسلام فاتبعه الضعفاء وعاداه الأقوياء، فنصر اللَّه، من نصره وخذل من خذله.

فلقد أخرج البخاري في صحيحه عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول اللَّه ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو اللَّه لنا؟ قال: «**كان الرجل فيمن**

قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيُشق باثنين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، واللَّه ليتمن اللَّه هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللَّه والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون».

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية قال: وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش برمضاء مكة إذا اشتد الحر من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبه ومنهم من يُصلب لهم ويعصمه اللَّه منهم، فكان بلال صادق الإسلام وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا واللَّه لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك: أحد أحد، فمر عليه أبو بكر الصديق وهو يعذب فاشتراه من أمية بعبد له أسود فأعتقه وأراحه من العذاب.

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه، وكانوا أهل بيت إسلام، إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول اللَّه ﷺ فيقول: «**صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة**»،

وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنَّبه وخزَّاه وقال: تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حُلمك ولنغلبن رأيك ولنضعن شرفك وإن كان تاجراً قال: واللَّه لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به، لعنه اللَّه وقبحه.

وكانوا يضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة، حتى يقولوا له اللات والعزى إلهان من دون اللَّه فيقول: نعم!! افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم.

فانظر - رعاك اللَّه - لتعلم من ذلك أن طريق الأنبياء ومن تبعهم ينصره اللَّه بعد أن يظهر للناس تمسكهم بدينهم، وعملهم بشرع ربهم سبحانه وتعالى، فينصرهم ويؤمنهم في ديارهم ويجعل الحياة رغداً عليهم، فإن غيروا تغير الأمر؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

ولقد أخرج الطبري وابن كثير وغيرهما في تفسير سورة النور

عند قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ فذكروا عن أبي العالية قال: كان النبي ﷺ وأصحابه بمكة نحواً من عشر سنين يدعون اللَّه وحده وإلى عبادته وحده لا شريك له سراً وهم خائفون، لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة، فقدموها فأمرهم اللَّه بالقتال، فكانوا بها خائفين يمسون في السلاح ويصبحون في السلاح، فصبروا على ذلك ما شاء اللَّه أن يصبروا، ثم إن رجلًا من الصحابة قال: يا رسول اللَّه، أبد الدهر نحن خائفون هكذا؟ أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لن تصبروا إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبياً ليست فيه حديدة**»، وأنزل اللَّه هذه الآية، فأظهر اللَّه نبيه على جزيرة العرب فأمنوا ووضعوا السلاح، ثم إن اللَّه تعالى قبض نبيه ﷺ فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه فأدخل عليهم الخوف فاتخذوا الحجزة والشرُّط وغيروا فَغُيِّرَ بهم.

يقول المولى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ

ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

في الآية الكريمة معان واضحات ولمحات طيبات، وإرشاد كريم ووعد محقق، فالآية الكريمة أولًا تفسر قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، فالإيمان وعمل الصالحات هما سبيل النصر.

وهي ثانياً بيان العمل الذي من أجله يُمكِّن اللَّه عز وجل للمؤمنين في الأرض، وهو: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]، وهذا بيان لوظيفة الخلق: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهي الهدف من الحكم بما أنزل اللَّه تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

نصر اللَّه وتحقيق وعده:

ففي غمرة الأحداث السياسية وصراع أمم الأرض ينسى المسلمون أن اللَّه نصر نوحاً ﷺ لما دعاه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠]، ونصر هوداً وصالحاً عليهما السلام على كثرة عدوهم وقلة ناصريهم من البشر، ونصر إبراهيم ولوطاً وسائر أنبيائه ورسله، ثم قال لهذه الأمة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن

قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

وقد تحقق الوعد للمؤمنين من أصحاب النبي ﷺ، وكانوا في أمة لا ينظر إليها أحد إلا بعين الاحتقار والاستصغار، فإذا بهم يملكون فارس والروم واليمن وإفريقية، ويتوغلون في أوربا ذلك لما حقق القوم الشرط: ﴿ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، حقق اللَّه لهم الوعد فاستخلفهم في الأرضو وأعمل فيهم سنته في كونه ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] لكن الشيطان أغوى أجيالًا من بعدهم: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٦]، ففقدوا بتخليهم عن الوفاء بالشرط: ﴿ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فقدوا تحقق الوعد، فإذا ببلادهم تهان بالكافرين والملحدين واليهود والمجوس والصليبيين وأعوانهم وأضرابهم من الفجرة المجرمين، فكان أن غاصت بقاع واسعة من بلاد المسلمين تحت الشيوعية ونارها، وبلاد أخرى تحت الصليبية وكفرها، وكان أخيراً أن وقع بيت المقدس أسير اليهود، أشباه القردة والخنازير، قتلة الأنبياء، والمغضوب عليهم، الملعونين في كتاب رب العالمين.

فهل من عودة إلى العزة والنصر والتمكين؟ الجواب: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا

ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [النور: ٥٥].

لكن ينبغي علينا هنا أن نعلم ما هو هذا الشرط؟ إنه الإيمان وعمل الصالحات.

أما الإيمان فأركانه ستة: «**أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**». وهو الأساس الذي لا ينبغي أن نغفل عنه لحظة ولا نهمل منه شيئاً.

أما عمل الصالحات فمعناه فعل المأمورات واجتناب المحظورات طاعة للَّه وإيماناً برسوله ﷺ، فيدخل فيها تصحيح الاعتقاد وضبط العبادات على سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، ويدخل فيها كذلك تنظيم البيوت من بر للوالدين، وإحسان للزوجات والأبناء، ومراعاة لحقوق الجوار، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وغض للبصر، وحفظ للفرج، وانتهاء عن الربا والغش والظلم، كل ذلك وأمثاله داخل في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، لكن الآية جاءت في سورة النور وهي السورة التي نزلت مؤذنة بعهد جديد في حياة الرسالة الخاتمة من حياة النبي ﷺ، فكان نزولها عقيب غزوة بني المصطلق التي جاءت بعد غزوة الأحزاب والتي نزلت في شأنها سورة الأحزاب وبينهما وقت قصير حيث كانت غزوة الأحزاب آخر غزوة تهاجم فيها

جيوش المشركين المسلمين فتقاتلهم في المدينة وبعدها قال النبي ﷺ: «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم**». هذه رواية البخاري، وفي رواية البزار عن جابر رضي الله عنه بلفظ: «**لا يغزونكم بعد هذا أبداً، ولكن أنتم تغزونهم**».

فجاءت سورة النور تطهر المؤمنين ليقوموا بواجب الجهاد والدعوة ليتأهلوا بالطهارة والطاعة ليكونوا محلاً لنصر اللَّه تعالى، فيطهرهم بهذه الأوامر الشرعية التي فصلتها السورة الكريمة، وأجملتها الآية الجامعة العظيمة في قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وإن كانت كلمة ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ تعني المأمورات امتثالاً، والمنهيات اجتناباً، فإن مأمورات سورة النور تصبح مقصودة بطريق الأولى، فإقامة الحدود المشروعة وحفظ الألسنة عن الخوض في أعراض الخلق وغض البصر عن المحارم وحفظ السمع وآداب الاستئذان في البيوت وتعليم الأطفال ذلك وحفظ الجوارح والفروج كل ذلك من الصالحات، وبنظرة عابرة إلى السورتين نرى الكثير من الأوامر ومنها: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [النور: ٢١].

وفيها: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

وفيها: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۚ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

وفي سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩ - ١٤].

وفيها: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وفي السورتين الإرشادات القويمة والأوامر التي تحيا بها الأمة

المستقيمة لتكون محلًا لنصر رب العالمين، فليس العدد ولا العدة إنما النصر، نصر اللَّه ينصر الذين آمنوا: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، والذي ينظر بعين الإنصاف لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٣٨ - ٤٠].

والذي يستعرض الآيات التي نزلت في غزوة بدر، وفي غزوة الأحزاب، وفي غزوة حنين وغيرها يعلم أن اللَّه سبحانه وتعالى أيد المسلمين في بدر بالملائكة المُسَوِّمين يقاتلون معهم، وأيدهم يوم الأحزاب بريح وجنود، فنصر عبده وأنجز وعده، وهزم الأحزاب وحده، ويوم حنين صرف الجموع الغفيرة عن ميدان

القتال، ففروا وولوا مدبرين، وأنزل اللَّه سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين، والمتدبر لحدث الهجرة يعلم أن اللَّه أبطل كيد الكافرين وأخذ بأبصارهم عندما خرج من بيته وعندما جاءوه عند الغار ورد عنه سراقة بن مالك وأكبه عن جواده عندما لحق فسلمه في رحلته وخيب اللَّه الكافرين في سعيهم.

بهذا يعلم كل مسلم أن عليه واجباً لا يجوز أن يتخلى عنه في عمل الصالحات وهو سبب نحو نشر دعوة الإسلام ودعودة العز لأهله وإرجاع الأرض المسلوبة وعودة المسجد الأقصى والأندلس وبخارى وسمرقند وسائر الأرض السليبة المنزوعة، وأن الأمر ليس إلا بنصر اللَّه العزيز الحكيم، لا بالدعاوي الفارغة الجوفاء ولا الحناجر العالية، ولا الأصوات المبحوحة والمسيرات الطويلة، إنما بإقامة شرع اللَّه ودينه، جاءت الآية التالية في سورة النور بعدها بقوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

فبالجباه الساجدة، والأيدي المتوضئة، والأنفس الزكية، والأجساد المتطهرة، والألسنة المحفوظة، يقع النصر والتمكين، بذلك يشعر كل أحد أن عليه واجباً نحو النصر، نحو القدس، نحو

دماء المسلمين، نحو ديار المسلمين، فليؤد كل أحد الواجب عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، فكيف تطلبون نصره وأنتم تفرطون في شرعه: «**احفظ اللَّه يحفظك، احفظ اللَّه تجده تجاهك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه اللَّه لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه اللَّه عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف**» ذكره في شعب الإيمان.

فليؤد كل واحد أمانته، وليراقب اللَّه في رعيته، لينصرنا اللَّه ويمكن لنا في أرضه بديننا الذي رضيه لنا ويبدل خوفنا أمنا، وفقرنا غنى لنقيم شرعه ونعمل بدينه، واللَّه يؤيدنا ويؤيد كل من آمن به وانتهج شرعه.

عِبَرٌ من التاريخ:

وهذه إشارة وعبارات تهدي المؤمنين ليعتبروا ويتقوا فيلزموا شرع اللَّه مطمئنين لتحقيق وعده سبحانه:

أولًا في عصر الرسالة:

اللَّه سبحانه وتعالى يستخرج المسلمين من ديارهم ويستدرجهم ليظهر بهم قدرته، فهو الذي أخرج المسلمين يوم بدر لملاقاة عير قريش التي استولت على أموالهم وديارهم بعد أن ضيقت عليهم

حتى خرجوا منها مطرودين مهاجرين، ثم يقدر اللَّه سبحانه أن تفلت عير قريش وأن تخرج الجيوش من قريش في عدد وعدة لقتال المسلمين ثم يكون يوم الفرقان الذي يظهر قوة المسلمين: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٥ - ٧].

وهو الذي أخرج المسلمين يوم الحديبية بأن يُري نبيه ﷺ رؤيا أنه يطوف بالبيت أمنا وادعا ويتسلم مفاتيح الكعبة فأسرعوا محرمين وكان ما وقع في الحديبية من بيعة الرضوان التي انتهت بصلح الحديبية الذي كان أفضل فتح في الإسلام.

أما يوم الأحزاب فيكفي أن نعلم أن القبائل قد تجمعت لاستئصال المسلمين حتى ظنوا أنهم لا بقاء لهم فتحالفت معهم يهود بني قريظة ونقضت العهد ثم أنجز اللَّه وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ثم أورث ديار بني قريظة للمسلمين.

ويوم حنين كثر عدد الجند لخروج الطلقاء معهم فلم تزدهم الكثرة إلا وهناً ففروا من الميدان: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ

حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٦].

فجل اللَّه سبحانه النصر قرين الإيمان وعمل الصالحات.

والحمد للَّه حوّل قبلة المسلمين من بيت المقدس وهو الذي وصفه رب العزة بالبركة حوله: ﴿ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾، ففيها الثمار والأشجار والأنهار التي زادت من مطامع الكافرين، بينما جعل القبلة التي وجههم إليها وهي القبلة الأولى، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]، جعلها ﴿غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾، في جبال قاسية، وأرض قاحلة، ليس فيها من مطامع الدنيا شيء إنما هي حياة القلوب فما هي حياة القلوب «**تهوى إليها أفئدة من الناس**»؛ ولذا فإن التاريخ يشهد بأن بيت المقدس لا يكاد يمر به قرن بغير عدوان من الكافرين يفلحون فيه أو يفشلون، بينما لم يأت جيش من غير المسلمين على مكة بعد جيش أبرهة أصحاب الفيل، وبنظرة إلى صفحة شبه جزيرة العرب نرى الاحتلال الكافر قد أحاطها من الشمال والجنوب والشرق والغرب وبقيت مكة حماها اللَّه؛ لأنها بواد غير

ذي زرع، فالحمد للَّه رب العالمين.

ثانياً: الخير والرخاء بالالتزام بشرع اللَّه:

وقع للناس الخير والرخاء لما عملوا بشرع اللَّه، ففاضت الأموال لما أخرجت الزكاة، وفتحت البلاد لما عمل الجند[1] بشرع اللَّه تعالى، وكلما غيروا ما بأنفسهم غير اللَّه الأمر من واقع أرضهم.

يقول أبو داود في سننه في كتاب الزكاة باب زكاة الزروع: شبرت قتاءة بمصر ثلاثة عشر شبراً، ورأيت أترجة على بعير بقطعتين قطعت وصيرت على مثل عدلين.

فانظر - رعاك اللَّه - كيف تحقق وعد اللَّه لما آمن الناس، فصارت قتاءة ثلاثة عشر شبراً، والأترجة حمل بعير، وتبقى الخيرات والبركات ما بقي الإيمان والتوحيد.

ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات

(١) قارن بين هذا وبين ما يقوم به المسؤلون عن معنويات الجند من الحفلات الراقصة والأغاني الماجنة التي تجعل الجندي يخلد للشهوات فيفر عند أول صيحة، ويحسبون كل صيحة عليهم فيقع الوهن في صدورهم بالمعاصي التي يعيشون فيها، فلا يتحملون نصراً، ولا يحمون أرضاً، وإنما يسرعون بالهزيمة قبل أن تأتيهم.

واستهواهم الشيطان، فأضلهم وأغواهم، وأوقعهم في الخرافة، فقدسوا القبور، وطافوا حولها، ودعوا غير اللَّه، ونذروا وذبحوا لغير اللَّه، فبدل اللَّه خيراتهم وأزالها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال: ٥٣].

العاصم هو اللَّه سبحانه هو الذي نصر جنده في الأولين، فقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وهو صادق الوعد، وعد المؤمنين بالنصر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، فليحذر المسلمون شباباً وشيوخاً رجالًا ونساءً رعاة ورعية أن ينخدعوا بزخرف القول من أعوان الشياطين، فيميلوا عن طريق الإسلام الصافي والتوحيد الصحيح، فاللَّه سبحانه قال: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، واللَّه سبحانه يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

فعز الدنيا في الإسلام، ورفعة الإنسان في عبوديته لربه، وذلك بالتزام منهج التوحيد الخالص.

* * *

فهرس الموضوعات

كلمة اللجنة ٣
مقدمة المؤلف ٧
المسجد الأقصى ٩
دعوة المرسلين ١٠
جهاد النفس وجهاد العدو ١٣
جهاد العصاة بالحكمة ١٣
كيف ضاع الأقصى؟ وكيف يعود ١٦
نظرة وعبرة ١٨
وعد اللَّه للذين آمنوا ٢٥
الصلاة فرض على المسلمين ٢٦
حماية اللَّه للمسلمين بعد موت النبي ﷺ ٢٧
الانحراف عن الطريق ٢٩
مثال صارخ ٣١
قوة الإيمان ٣٤
المسجد الأقصى في عقيدة المسلمين ٣٦

بدأ الإسلام غريباً ٤٥
نصر اللَّه وتحقيق وعده ٥٠
عِبَرُ من التاريخ ٥٧
الفهرس ٦٢

تم الصف والإخراج
بشركة غراس للطباعة
هاتف: ٤٨١٩٠٣٧ - فاكس: ٤٨٣٨٤٩٥

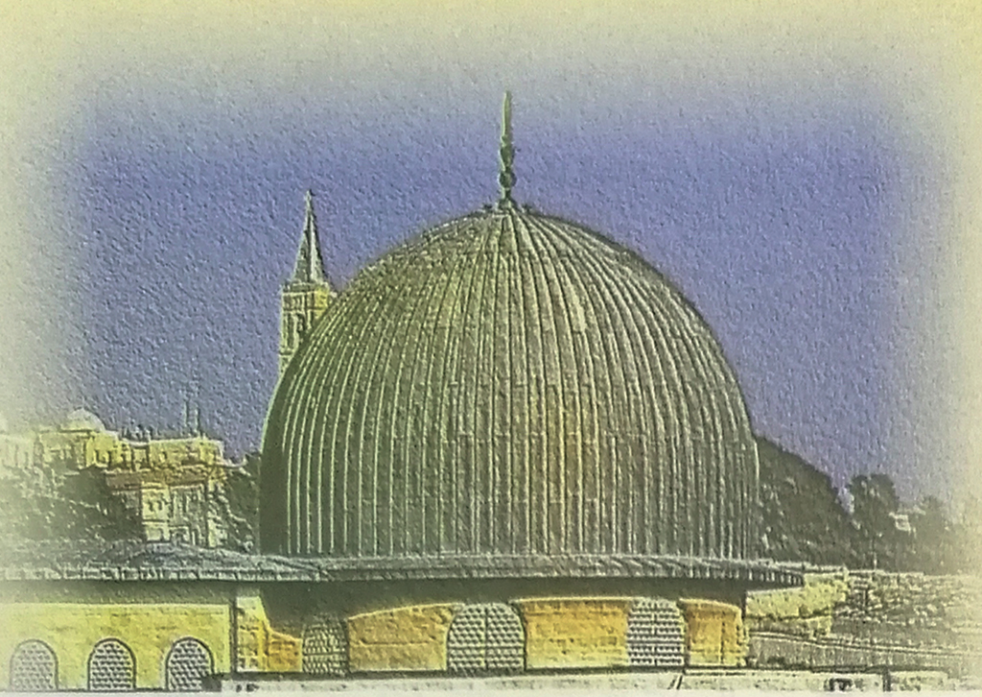

هذا الكتاب

الطريق إلى القدس طريق واحد لا بديل عنه ، هو الإيمان والتقوى والعمل الصالح ، وما ضاع المسجد الأقصى إلا لأننا فرطنا في إيماننا ، وضيعنا معالمه وأوامره ، ولا يرجع المسجد الأقصى إلا أن نرجع لتدارك مافرطنا ، فنعود إلى رب العالمين ، باتباع كتابه وسنة نبيه ﷺ على منهج السلف الصالح .

والنصر لا يكون إلا بالأيدي المتوضئة وبالجباه الساجدة ، والأنفس الزكية ، والأجساد المتطهرة ، والألسنة المحفوظة ، بذلك يقع النصر والتمكين إن شاء الله ، ويشعر كل مسلم أن عليه واجباً نحو النصر ، نحو القدس ، نحو دماء المسلمين ، نحو ديار المسلمين .